بسم الله الرحمن الرحيم

قال مؤلّفه عبيد الله سبحانه محمّد الصغير بن الحاجّ محمّد بن عبد الله الوفرانيّ النجار المراكشيّ الوجار جبّر الله صدعه وسكن روعه :

الحمد لله المتعالى عن تواريخ الازمان ملكه ، المتقدّس في ملكوته عن الامثال وكيف لا وكلّ ما في الكون ملكه ، القديم الذي لا يبيد سلطانه ولا يتحوّل ، المدبّر الذي ليس بساهٍ على شيء من خلقه ولا ناس ، القايل وقوله الحقّ وتلك الايام نداولها بين الناس ، فنجوم الاملاك ما بين شارق وغارب في افلاك الدول ، الباقى الذي كتب على خلقه الفناء ووسمهم به على الخرطوم ، وقادهم لسكى الاحداث قود الجمل المخطوم ، فلا ينفع في عبور حقيقة مجازه مختصر السعد والمطوّل ، نحمده سبحانه ان ذلّل لنا الاقلام فغاصت في بحر ظلمات المحابر على الدرر ، وملّكنا بها ثدى العلوم فاحتلبنا منها اباريق الدرر ، وارتضينا من شرف العلم ما كلّ شرف سواه مؤمّل ، والصلاة والسلام على سيّدنا ونبيّنا ومولانا محمّد الذى رفع الله به عن امّته الحرج والنصب ، وجمع فيه جميع الفضايل ولولا عجايب صنع الله ما اجتمعت في لحم ولا عصب ، المصطفى من بنى هاشم شمّ الانوف من الطراز الاوّل بعثه الله وملكة الكفر لا تزداد الّا انتصاراً ، فلّ عروشها وقال ان كنت ريحاً لقيت اعصاراً ، ودرس رسمها وهل عند رسم

دارس من معوّل ، والرضى عن آله واصحابه الذين اطلعهم الله نجوماً في سماء هذه الملّة ، واعطاهم من الكتايب الاكفية جمع الكثرة بجمع القلّة ، وخوّلهم من كرامته ما خوّل ،

امّا بعد فان علم التاريخ من اشرف العلوم ، ومكانه من العلوم الشرعيّة معلوم ، وما زال الجهابذة الاخيار ، يقطعون نفايس اوقاتهم في جمع الاخبار ، ويعتنون بمسائلها ويرونها من اسنى ما يدّخر ، ويقدّمونها ولا يقولون الاصل في الاخبار ان تؤخّر ، ولا شكّ انّ النظر في ملح النوادر ، فيه تنشيط للافكار السوادر ، وانّي لم ازل منذ علّقت تميمة التمييز في عضدي ، وجعلت سوار الطلب في زندي ، متشوّفاً الى اخبار الدولة السعديّة ، وسائلاً هل استنشق احد نفحات اخبارها الورديّة ، فلما لم ار الّا مجيباً بلا ، تيقّنت ان رسم العلم غيّره البلاء ، وقمت منتهزاً الفرصة ، ومفرغاً على خاتم السبق من الافادة فصّة ، علماً منّي بانّي ان احسنت في التدوين ، وذبحت خوان الاخبار بما يشتهي من التلوين ، كان ما انتهيه من الاصابة والتاييد ، والّا كنت محرّكاً لهمّة غيري ومعيناً له على التقييد ، وفي كلا الحالتين فالتجارة رابحة ، وهمّة النفس في لجّة الخير سابحة ، وقد كنت بدا لي ان المّ بدولة بني وطاس ، واواخر بني مرين ، بما يكون ذيلاً لروض القرطاس ، وروضة النسرين ، فرايت الدولة السعديّة عناية اهل زماننا بها اكثر ، والاقتصار عليها لا يكون بها تاريخ الملك ابتر ، وسمّيت هذا الموضوع ، الذي حديثه حسن صحيح غير موضوع ، نزهة الحادي باخبار ملوك القرن الحادي ، وهذه الدولة السعديّة وان كان ابتداؤها عام ستّة عشر من القرن العاشر ، لاكن انّما ظهرت واتّسعت ايالتها في آخر العاشر واوّل الحادي ، فلذلك ادرجناها في الحادي ، وما قارب الشيء فهو له في الحكم محادي ، واعلم انّي الّفت هذا التصنيف ، من عدّة كتب تزدي بزهور الروض المنيف ، وسوف اعيّن لك في الاخر اسماءهم ، وانصب مدارج الامالة لمن اراد ان يرقى سماءهم ، فجدير لمن سرّح فيه الحاظه ، ان يسامح نسيجه ولا ينتقد الفاظه ، ولا يكون من قوم الجم الحسد

السنتهم ، واطال على فراش العصبيّة استنّهم ، لاكن السلامة من الخلق قضيّة في المحال مفروضة ، واعراض الاشراف لم تزل بالسنة اللئام مقروضة ، والله يغيبنا في ذاته عن الهجو والقديح ، ويجعلنا ممّن يرى ان كلام الخلق كلّه شبه المديح ، وهذا اوان الشروع في المقصود والمرام والله المعين بمنّه وكرمه على التمام

ذكر الخبر عن نسبهم الشريف

وما قيل من تنكير وتعريف

امّا عمود نسبهم فقد ذكره غير واحد من المؤرّخين ورفعه من لا يحصى من الشيوخ المعتبرين وهذا نصّه : محمّد المهديّ بن محمّد القايم بامر الله بن عبد الرحمن بن علىّ بن مخلوف بن زيدان بن احمد بن محمّد بن ابي القاسم بن محمّد بن الحسن بن عبد الله بن محمّد المدعو ابي عرفة بن الحسن بن ابي بكر بن علىّ بن الحسن بن احمد بن اسماعيل بن قاسم بن محمّد الملقّب بالنفس الزكيّة بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنّى بن الحسن السبط بن امير المؤمنين علىّ بن ابي طالب كرّم الله وجهه وفاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . قال الشيخ الامام العلّامة ابو العبّاس احمد بن القاضى في كتابه المنتقى المقصور على مشاثر خلافة السلطان ابي العبّاس احمد المنصور اطلعنى على هذه النسبة الشريفة ابو العبّاس احمد بن يحيى الهوزاليّ قايد فوّاد وليّ عهد المنصور مولانا ابي عبد الله محمّد المامون وبمثل هذا حدّثنى شيخنا ابو العبّاس احمد بن علىّ المنجور وحدّثنى شيخنا ابو راشد يعقوب بن يحيى اليدريّ انّه راى هذه النسبة ايضاً مكتوبةً بخطّ ابي عبد الله محمّد بن غالب بن حشّار وعليها استفأل القاضى ابي عبد الله بن علّال . وهكذا رايته بخطّ بعض

الاشراف من السعديّين ايضاً واظنّ انّ فيه بتراً بين قاسم ومحمّد النفس الزكيّة اذ ليس في اولاد النفس الزكيّة من اسمه قاسم وانّما القاسم بن الحسن بن محمّد بن عبد الله الاشتر بن محمّد النفس الزكيّة بن عبد الله الكامل الّا انّ هذا يقع من ذهول الناسخ او جهله بحقيقة الامر والله اعلم وقوله واظنّ انّ فيه بتراً هو الصحيح اذ لا يعرف في اولاد محمّد النفس الزكيّة القاسم اصلاً ولا عدّه منهم ابو عبد الله المصعب الزبيديّ ولا ابن حزم في جمهرتيهما ولا غيرهما من النسّابين الحفّاظ والذي ضعّفه الشيخ المسناويّ في نسبهم انّهم من اولاد عبد الله الاشتر بن محمّد النفس الزكيّة لان النفس الزكيّة وان كان له اولاد خمسة عبد الله الاشتر وعليّ والحسين بالتصغير والطاهر وابراهيم كما عند مصعب او ستة كزيادة احمد مع تكبير الحسين كما عند ابن حزم حسبما سبق لكن قال الشريف المكّي السمرقنديّ في تحفة الطالب أنّه لم يعقب الّا من ولده عبد الله الاشتر المقتول في كابل من ارض السند وانّ الاشتر لم يعقب الّا محمّداً المولود بكابل ، قال واعقب محمّد هذا على الصحيح ولده الحسن الذي يقال له الاعور وكان اجود بني هاشم وقتل ايّام المعتزّ العبّاسيّ واعقب الحسن الاعور هذا اربعة رجال وهم ابو جعفر محمّد وابو عبد الله الحسين بالتصغير وقد انقرض عقبه في المائة السادسة وابو محمّد عبد الله وقد كثر في ولده الادعياء فيجب الاحتياط في اثبات من ينسب اليه والقاسم ولكلّ من الثلاثة عقب

قال الشيخ المسناويّ بعد نقل كلامه فتبيّن من هذا انّ القاسم الموصول في عمود النسب المذكور بمحمّد النفس الزكيّة ليس هو بابنه المباشر وانما هو ابن الحسن الاعور بن محمّد الكابليّ بن عبد الله الاشتر بن محمّد المهديّ وهو النفس الزكيّة وفيه اسقاط بين القاسم ومحمّد النفس الزكيّة بثلاثة اباء والله اعلم . وما ذكره صاحب المنتقى من انّ محمّداً القايم هو ابن عبد الرحمن بلا واسطة كذلك يوجد في بعض الكتب وليس بصواب بل هو القايم بن محمّد بن عبد الرحمن فاسقط محمّداً القايم بن عبد الرحمن وقد وقفت على رسالة بخطّ الامام النظّار

ابي عبد الله محمّد بن القاسم القصّار بعث بها الى السلطان ابي العبّاس المنصور في هذا المعنى نصّها سلام الله ورحمته وبركاتـه على مولانا المنصور نصره الله نصراً عزيزاً وادام الخلافة فيه وفي ذرّيّته الى يوم الدين يقبّل بسـاطكم عبدكم محمّد القصّار زاده الله من رضـاكم وسمع انّ في النسب الكبير العظيم ثلاثة محمّدين فتبدّل التثنية بالجمع ويحمل على اقلّه اذ لو كان اكثر لبيّن ويقال احمد محمّد ج عبد الرحمن وقال العبد الضعيف

روى ابو داوود ثمّ الحـاكم ... ما صحّ عن بعث المجدّد اعلم
براس كلّ مايـة وابن الرسول ... شرّط في الحديث فالغير يزول
ولم تر ابناً جدّد الدين سوى ... امامنـا المنصور فالكفر ثوى
بخيلـه وناره احيـا العلـوم ... واهلهـا وكتبهـا على العموم
في كلّ يوم جوده على الشريف ... مع الاسير والفقيه والضعيف
امّا المسـاجـد فكالجنّـات ... حسناً وتدريساً على الساعات
ابقـاه ربّنـا لاحيـا الدين ... في قـوّة وغـلـب مـتـين

ولو علمت يامولاى انّ احداً يحبّكم اكثر منّى ما عددت نفسي من المسلمين . انتهى بخطّه واشار بقوله فتبدّل التثنية الخ الى انّه يقال عند سرد هذا النسب احمد المنصور بن المحمّدين بصيغة الجمع واقلّ الجمع ثلاثة او يكتب احمد محمّد وبعده جيم لان نقطها ثلاثة كل ذلك فراراً من التصحيف وكذلك ايضاً من التصحيف اسقاط ذكر محمّد بن ابي عرفة فانّ عقب النفس الزكيّـة انتهى ينبوع النخيل الى السيد القاسم والسيد عبد الله ابنَيْ محمّد بن ابي عرفة حسبما ذكره الشيخ النسّابة ابو عبد الله الازورقانيّ في كتابه الدوحة وهولاء السادات يقولون انّ اصل سلفهم وفد على المغرب من الينبوع وانّهم ابناء عمّ السـادات الاشراف اهل سجلماسة وانّ السيّد الحسن بن قاسم الداخل بلد سجلماسـة كما سياتي ان

شاء الله هو ابن عمّ جدّهم الداخل لدرعة وهو زيدان بن احمد بن محمّد والد قاسم والد الحسن الداخل ولذلك قال في المنتقى لا خلاف انّ نسبهم اصحّ شرف اهل المغرب لانّ اصلهم من شرفاء الينبوع وقصّة اتيانهم من الينبوع الى درعة اذ اتى بهم اهلها من هناك كما اتى اهل سجلماسة ببني عمّهم قبل ذلك وحكايتهم شهيرة بين المؤرّخين فلا نطيل بذكرها . واشار بذلك الى ما يزعمه السعديّون من انّ اهل درعة كانوا لا تصلح ثمارهم وتعتريها العاهات فقيل لهم لو اتيتم بشريف الى بلادكم كما اتى به اهل سجلماسة الى بلادهم لصلحت ثماركم كما صلحت ثمارهم فاتوا بالسيّد زيدان بن احمد من الينبوع كذلك فصلحت ثمارهم الّا انّ من الناس من يطعن في هذا ونقل ذلك عن الامام الحافظ الحجّة ابي العبّاس احمد المقّريّ التلمسانيّ ولكن صرّح غير واحد من فقهاء دولتهم بصراحة نسبهم وسلامة جرثومتهم من الطعن وقال به غير واحد من الائمّة المقتدى بهم كالامام المنجور وابي يوسف يعقوب اليدريّ والامام ابي العبّاس احمد بن قاسم الصومعيّ والشيخ ابي العبّاس سيّدي احمد بابا السودانيّ وقال ابن عرضون انّ نسبهم في غاية الشهرة فلا مطعن فيه ولعلّ ما نسب المقّريّ من تصحيح انّهم من بنى سعد لا من قريش لا يصحّ عنه فانّه صرّح في كتابه نفح الطيب بشرفهم وهو من اخر ما الّف بل الّفه في بلاد الشام وفي نوازل قاضي الجماعة ابي مهديّ عيسى بن عبد الرحمن السجتانيّ من جملة سوال كتب به اليه الفقيه الصالح ابو زيد عبد الرحمن التامسانيّ وهو يقول ولا شكّ انّ مولانا عبد الله مجمع على عدالته وبيعته وقد اخبرني الثقة من اصحاب الشيخ الجامع القطب الكبير ابي العبّاس سيّدي احمد بن موسى السملاليّ انه قال مولانا عبد الله ياقوتة الاشراف هو صالح لاسلطان . وناهيك به شهادة على صحّة شرفه وعلو طبقته في العدل وستاتي هذه الحكاية في محلّها باتمّ ممّا هنا وقد الّف في خصوص دولتهم جماعة كالفقيه المشارك لسان المغرب ابي فارس عبد العزيز بن محمّد بن ابراهيم الفشتاليّ وسمّى كتابه مناهل الصفاء في اخبار

الملوك الشرفاء قال في نفح الطيب وعهدي به انه اكمل منه ثماني مجلّدات وكذلك الّف فيهم الكاتب البارع ابو عبد الله محمّد بن عيسى وسمّى كتابه الممدود والمقصور من سنا السلطان ابي العبّاس المنصور قال في نفح الطيب ايضاً وهذه التسمية وحدها مطربة . واعلم انّه جرى على الالسنة وصف هولاء الاشراف بالسعديّين ولم يكن لهم هذا الوصف في القديم ولا وقعت تحليتهم به في ظهائرهم وسجلّاتهم وصدور رسائلهم بل كانوا لا يقبلون ذلك ولا يجترئ احد على مواجهتهم به لانّه انّما يصفهم بذلك من يطعن في نسبهم ويقدح في وشيج اصلهم ويزعم انّهم من بنى سعد بن بكر بن هوازن الذين منهم حليمة السعديّة ظئر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وكثير من العامّة واخوانهم من الطلبة يعتقدون انّهم انّما سمّوا بذلك لانّ الناس سعدوا بهم ونحو ذلك ممّا لا معنى له وقد وقفت على رسالة بعث بها مولاي محمّد الشيخ الاصغر بن مولانا زيدان الى الامير مولاي محمّد بن مولاي الشريف الحسنّى السجلماسيّ ومن فصولها ان قال له بلغنى انّك تعلى في النوادي من الحواضر والبوادي انّ جرثومة انتمائنا لبنى سعد بن بكر بن هوازن مع انّها من بنى نزار بن معدّ وافية المكائيل ثقيلة الموازين وانّنا من تدسي احد القصور بوادي درعة ومنها انبت الله اصلنا فازهر واثمر فرعه فان كان غرضك حطّ منطقة قدرنا من النسب فهذا من الغلاء عليك عار وان تحاول محونا من صحيفة الحسب فتلك ايضاً دعوى لا تغلى ولا ترخص علينا سوايق الاسعار وقد صرّفنا لك نسخة من مناهل الصفاء في اخبار الشرفاء ليطلع انظارك الملوك على ما يزيل ما في الخاطر من اشراك الشكوك فاجابه مولاي محمّد بن الشريف عن هذا الفصل بان قال له وعتابكم انّنا عزيناكم لبنى سعد بن بكر بن هوازن بن منصور وناشرون ذلك في الحلل والمدن والقصور تالله ما فهمنا بذلك عن معايرة لكم ولا جهل بكم ولا بان نضيفكم لمن لا عشرة له ولا اهل بل اعتمدنا في ذلك بعون الله على ما نقله المؤرّخون لاخبار الناس من علماء مرّاكش وتلمسان وفاس ومكناسة الزيتون

ولقد امعن الكلّ التأمل بالذكر والفكر فما وجدوكم الّا من بنى سعد بن بكر ولا معوّل على كتاب احد من الفشاتلة ولا السيّد احمد بن القاضى المكناسىّ ولا ابن عسكر الشريف الشفشاونىّ ولقد بلغتنا نسخة من مناهل الصفاء فلم نجد فيها مؤرّخاً صوّر وصفا وكفى في الظاهر والباطن قول الثقة مولانا عبد الله بن علىّ بن طاهر ومع هذا فلم نعتمد دفعكم عن شرف النسب ولا رفعكم عمّا رسمكم الله به من زينة الحسب . انتهى الغرض من هذه الرسالة وستاتي ان شاء الله في موضع اليق بها من هنا واشار بقوله الثقة مولانا عبد الله بن علىّ بن طاهر الى ما يحكى شائعاً انّ السلطان ابا العبّاس المنصور كان يوماً جالساً مع الفقيه الورع الزاهد ابي محمّد مولانا عبد الله بن علىّ بن طاهر الحسنىّ احد السادات السجلماسيّين وبين يديهما خوان ياكلان منه وذلك بقصر السلطان المذكور من حاضرة مرّاكش امّنها الله فقال السلطان لابي محمّد اين اجتمعنا يعنى في النسب فقال له ابو محمّد في هذا الخوان ويروى في هذا المشور فاستشاط له السلطان غضباً واسرّها في نفسه الى ان احتال على ابي محمّد بما كان السبب في تجرّعه كاس المنون فكان المنصور بعد ذلك ينادي ابا محمّد فيجلس هو على الرخام في زمان كلب البرد وهيجانه من غير حائل وقد اتّخذ المنصور لبدة صوف داخل سراويله ولا يحسّ معها البرد فاذا رآه ابو محمّد جالساً معه تجلّد واستحيا ان يقوم من موضعه والسلطان معه وهما يتفاوضان في مسائل السعلم فعمل به ذلك مراراً وايّاماً حتى سكنت علّة البرد في جوفه فلم يبرح ابو محمّد يشتكى من ضررها الى ان قضت عليه وجواب ابي محمّد من النوع البيانىّ المسمّى عندهم بتاقّى المخاطب بغير ما يترقّب على ما هو مبيّن في الكتب البيانيّة وانّما ساله السلطان المذكور لما تقدّم اوّلاً من انّ هولاء السعديّين يزعمون انّهم لم يجتمعوا معهم في قبيل ولا دبير والله اعلم لكن صحّ لنا غير واحد من اشياخنا انّ الشيخ ابن طاهر رجع عن ذلك الانكار وانّ السلطان ابا العبّاس المنصور اطلعه بعد ذلك على ظهير فيه خطّ الامام ابن عرفة وشيخه ابن عبد السلام

بثبوت نسبهم فاطمأنت نفس ابن طاهر لذلك فكان بعد ذلك يصرّح بصحّة نسبتهم ويزجر من يطعن فيهم وامامة ابن طاهر وعدالته شهيرة وكذلك صرّح بصحّة نسبهم الامام العلّامة مفتى الحضرة المّراكشيّة ابو مالك عبد الواحد بن احمد الشريف الحسنى الفلالي وهو من بنى عمّ ابي محمّد بن طاهر المذكور وله في المنصور امداح يعلن فيها بشرفه مع انّه كان من اهل العلم والدين والتحفّظ فيما يكتب ويقول وعلى ما ذكرنا عنهم وانّ جدّهم قدم من الينبوع قال ابن القاضى في درّة السلوك انّ جدّهم قدم من الينبوع واستقرّوا اوائلهم بدرعه فسكنوا بها وذلك في مبدا المائة الثامنة وفي هذا العهد قدم جدّ شرفاء سجلماسة ايضاً كما سياتي ان شاء الله هذا بعض ما يتعلّق بنسبهم الشريف وقد ضربنا صفحاً عن مطاعن هنا راينا الإعراض عنها أَوْلَى اذ من شرط المؤرّخ ان لا يتبع العورات ولا يهتك الاعراض والله المسئول ان يمنّ علينا بالستر دنيا واخرة بمنّه وكرمه امين

ذكر كيفيّة اتّصالهم بالملك

وسبب ركوبهم الفلك

قال صاحب درّة السلوك لم يزل اسلافهم مقيمين بدرعة الى ان نشا منهم ابو عبد الله محمّد القايم بامر الله فنشا على عفاف وصلاح وحجّ بيت الله الحرام وكان مجاب الدعوة ولقى جماعة من العلماء الاعلام والصلحاء العظام في وفادته على الحرمين الشريفين اخبرني بعض الفضلاء انّه لقى رجلاً صالحاً بالمدينة المشرّفة على ساكنها افضل الصلاة والسلام فاشار له بما يكون منه ومن ولديه وكان راى رؤيا وهى ان اسدَيْن خرجا من احليله فتبعهما الناس الى ان دخلا صومعةً فوقف هو ببابها فعبّرت رؤياه بانّه يكون لولديه شان عظيم وانّهما

سيملكان الناس ثمّ رجع الى المغرب وهو مضمر للدعوة ويقول في كلّ محفل انّ ولديه سيملكان المغرب ويكون لهما شان عظيم من غير تردّد منه ثقةً بقول الرجل الصالح وتفسير رؤياه المذكورة فما زال الى ان قام في سنة خمسة عشر وتسعماية وايضاً من معنى تلك الرؤيا المذكورة ما يحكى شائعاً ان ولدَيْ ابي عبد الله القايم وهما ابو العبّاس احمد الاعرج واخوه محمّد المهديّ كانا يقرءان القرءان بمكتب وهما صبيّان صغيران فدخل ديك فوثب على راس كلّ منهما وصاح فاوّل ذلك مؤدّبهما سيكون لهما شان عظيم فكان الامر كذلك وقال شارح زهرة الشماريخ كان السبب في قيام ابي عبد الله القايم انّ اهل السوس احاط بهم العدوّ الكافر ونزل بجوانبهم من كلّ جهة حتّى اظلم الجوّ واستحكمت شوكة الروم وبقى المسلمون في امر مريج لعدم امير يجتمعون عليه وتجتمع به كلمة الاسلام لانّ بنى وطاس كانت قد فشلت ريح ملكهم في بلاد سوس وانّما كان لهم الملك في حواضر المغرب ولم يكن لهم من السلطنة بسوس الّا الاسم مع ما كانوا فيه بنو وطاس ايضاً من معاناة قتال الكفّار بثغر اصيلا والعرايش وطنجة وبادس وغيرها من الثغور والمراسي فلمّا راى اهل السوس ما دهمهم من تفاقم الاهوال وطمع العدوّ في بلادهم ذهبوا الى الشيخ الوليّ الصالح ابي عبد الله محمّد بن مبارك فذكروا له ما هم فيه من انتشار جماعتهم وافتراق كلمتهم وكلب العدوّ على مباكرتهم بالقتال ومراوحتهم وطلبوا منه ان تجتمع كلمتهم عليه ويعقدون له البيعة ويقوم بامر الناس في امضاء الحكم عليهم وجمعهم لقتال عدوّهم فابى من ذلك وامتنع منه كلّ الامتناع وقال لهم انّ رجلاً من الاشراف بتاكمادارت من بلاد درعة يقول انّه سيكون له ولولديه شان فلو بعثتم اليه وبايعتموه كان انسب بكم وأليق بمقصودكم فبعثوا اليه واتى اليهم وكان من امره ما كان . ورايت بخطّ الفقيه العالم العلّامة الحافظ ابي زيد سيّدي عبد الرحمن ابن شيخ الجماعة ابي محمّد سيّدي عبد القادر الفاسيّ ما صورته ذكر لنا الوالد عن سيّدي احمد بن سيّدي علىّ السوسيّ البوسعيديّ انّ ابتداء

دولة الشرفاء بسوس سببها انّ بعض السادات وهو سيّدي بركات توسّط في فداء بعض الاسارى فاراد ان يكون اتّفاقه مع النصارى على ان لا يقبضوا اسيراً فكلّمهم في ذلك فقالوا له حتّى يكون لكم امير فان ملككم ذهب واضمحلّ قال ثمّ انّ بعض اهل سوس سار الى قبيلة جسيمة يكتال القوت فاخذهم جسيمة واكلوا بضاعتهم وامتعتهم فذهبوا الى شيخهم وكان ذا حزم وتدبير فردّ لهم كلّ ما ضاع لهم حتّى لم يبق لهم شيء فلمّا رجعوا الى بلادهم قالوا انّ هذا الشيخ الرءيس هو الذي يليق ان نبايعه فاجتمعوا واتوه فطلبوه ان يراسهم فامتنع واحتاط لدينه واعتذر بتشويش هذا الامر للدين ودلّهم على رجل شريف كان مؤذّناً بدرعة فقال لهم ان كان ولا بدّ فاقصدوا الشريف الفلانيّ فانّه يذكر انّ ولديه يملكان المغرب فقصدوه واستصحبوه الى بلادهم وفرّضوا له ما يكفيه ويكفى اولاده من المؤنة وبقى عندهم في نحر العدوّ هنالك الى ان كان منه ما كان وسيّدي بركات المذكور هو الوليّ الصالح بركات بن محمّد بن ابي بكر التدسّي ورايت بخطّ بعض الفضلاء انّه هو الذي ادخل الشرفاء لسوس سنة سبعة عشر وتسعماية . وفي الدوحة لابن عسكر في ترجمة ابي عبد الله محمّد بن المبارك المذكور قيل انّه الذي امر قبايل السوس بالانقياد الى السلطانَيْن الشريفين ابي العبّاس احمد الاعرج واخيه ابي عبد الله محمّد الشيخ وامرهما بالعدل والجهاد في سبيل الله لمّا راى النصارى تغلّبوا على سواحل تلك البلاد فكان من امرهما ما هو معلوم . وفيه بعض مخالفة لما ذكر قبله لانّ ما ذكره شارح الزهرة يقتضي ان ابن المبارك انّما حضّكم على مبايعة ابيهما ابي عبد الله القايم بخلاف ما ذكره في الدوحة ولعلّه امرهم بالانقياد للجميع والله اعلم وابن المبارك هذا من اكابر الاولياء المشاهير من اهل التصريف بالعيان كان نزيلاً ببلاد اقّ وزاويته هناك شهيرة الى الان وكان رحمه الله قطعيّ الولاية عند اهل السوس وظهرت له كرامات عديدة منها انّ نفراً من القبايل قدموا عليه بقصد الانكار فامر الشيخ ان يطبخ لهم العصيدة في قفاف من عسف الجريد

فجعلت القفاف على النار واوقد عليها الى ان طبخ لهم ما امر به الشيخ والناس ينظرونه جميعاً ومن ذلك ان جعل لهم ثلاثة ايام في كلّ اسبوع في كلّ شهر لا يحمل احد فيها سلاحاً ولا يتعرّض بعض القبايل فيها لبعض ومن انتهك فيها الحرمة عجلت له العقوبة حتّى ذكروا انّ اعرابيّاً قبض في تلك الايّام على يربوع فقال له بعض اصحابه اطلقه فهذا يوم من ايّام عافية سيّدي محمّد بن مبارك فابى الاعرابيّ وضرب اليربوع فكسّر رجله فما هو الّا ان صاح الاعرابيّ ياويحاه كسّرت رجلي فما مشي عليها بعد وكراماته كثيرة ولمّا ثبتت ولايته عند القبايل السوسيّة اذعنوا له وانصتوا لقوله فامرهم بالاجتماع على ما ذكرنا والله اعلم وفي الدوحة ايضاً في ترجمة الشيخ الاكبر العالم الاشهر ابي محمّد عبد الله بن عمر المطغريّ دفين درعة ما صورته وكان السلطان ابو عبد الله محمّد الشيخ واخوه ابو العبّاس الاعرج من تلامذته وبسببه كانت دعوتهما . وهذا مخالف لما تقدّم ايضاً الّا ان يتاوّل على انّ كلا من ابن المبارك وابن عمر وغيرهما حضّ على مبايعتهما او ابن المبارك بالسوس وابن عمر بدرعة ونواحيها وفي مرءات المحاسن انّ السلطان ابا عبد الله محمّد الشيخ ماهد دولة الشرفاء كان يتوهّم من مشايخ الفقراء ويخاف منهم لدخولهم الملك من بابهم . وقد اتّفقت كلمة اولائك الاشياخ على انّ ابا عبد الله محمّد القايم انّما كان نهوضه باشارة من الصالحين واذن من العلماء العاملين وكفى ذلك شاهداً على صحّة نسبه الشريف عندهم والّا لما خصّوه بالامامة العظمى التي لا يتمطّق حرمتها الّا شريف النسب قرشيّ الجدّ هذا ما وقفت عليه في سبب اتّصالهم بالملك وقد تركت اخباراً ولعت بها العامّة في ذلك ورايتنا اخلاء كتابنا منها اولى والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم . لطيفة رايت بخطّ الفقيه الاستاذ مؤدّب اولاد الملوك ابي عبد الله محمّد بن يوسف الترغيّ رحمه الله ما نصّه كان سيّدي عليّ بن هارون ياخذ دولة الشرفاء اهل درعة من قول الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر انّ الارض يرثها عبادي الصالحون . ولم يبيّن كيفيّة الاخذ لذلك

من الاية الكريمة ثمّ رايت في الرحلة لشيخ شيوخنا الفقيه العلّامة العالم الامام ابي سالم عبد الله بن محمّد العياشيّ ما صورته حدّثنا شهاب الدين ابو العبّاس احمد بن التاج انّ السلطان سليماً العثمانيّ احد ملوك الترك وهو اوّل من ملك مصر منهم وانتزعها من يد السلطان الغوريّ سنة ثلاث وعشرين وتسعماية وذلك انّه لمّا ملك الشام اراد ان يتملّك العراق لانّها مساكن اسلافهم الترك فلمّا اراد النهوض لذلك من الشام تعذّر عليه الحال لقلّة الاقوات وغلاء الاسعار فكتب لسلطان مصر الغوريّ المذكور يستاذنه في الامتيار من بلده وكان الشاه مالك العراق في ذلك الحين لمّا سمع بتحرّك السلطان سليم اليه كاتب الغوريّ وكانت بينهما صداقة يطلب منه ان يشغله عنه وان يثبطه ما استطاع وصادف ذلك من الغوريّ غيرة من السلطان سليم وانفة من تملّكه لبلاد الشام وخشي ان اتّسع ملكه ان يتولّى على مصر ومصر اذّاك هي امّ البلاد الاسلاميّة وملكها اعظم الملوك لانتقال الخلافة العبّاسيّة بعد واقعة التتر من العراق الى مصر وغيرها وعند ما طلب السلطان سليم من الغوريّ الميرة تعلّل له بانّ ذلك لا يمكن في هذا الوقت لغلاء الاسعار واعتذر باعذار ضعيفة ففطن سليم لمقصده وعلم انّه انّما ارادتعويقه عن السير الى العراق فحدّثته نفسه بالوثوب عليه وصرّف العنان عن غزو العراق الى غزو مصر فاستشار في ذلك كلّ من كان في حضرته من العلماء وذكر لهم عذره وانّ الغوريّ منعه التزوّد من بلاده وهو محتاج الى الزاد فكلّهم قالوا انّ ذلك لا يبيح لك قتاله لانّه ملك بلاده ولم يخلع لك يدًا من طاعة ولا بدالك بحرب فكيف يجوز لك الهجوم عليه في بلاده ومحاربته بلا سبب وكان من جملة العلماء الحاضرين المحقّق ابن كمال باشا وكان اصغرهم سنًّا فقال له ايّها الامير انّه يباح لك غزوه وفي كتاب الله انّك تدخل مصر من هذه السنة فقال له وكيف ذلك فقال له لا افتي بين يدي هاولاء الايمّة وهم مشايخ الاسلام حتّى تؤجّلهم سبعاً لينظروا وليتذكّروا فانّ الله سبحانه وتعالى قال ما فرّطنا في الكتاب من شيء فكيف لا تكون هذه النازلة

في كتاب الله الذي فيه بيان كلّ شيء فقال له سليم انّي اجّلتكم سبعاً لتبحثوا عن صحّة ما قال فقالوا كلّهم ايّها الامير ما كان جوابنا الان هو جوابنا بعد سبعة فقال ابن كمال لا بدّ من التاجيل وقصده والله اعلم اظهار مزيّته عند الملك وانّه اهتدى لما عجزوا عنه بعد التاجيل والتلوّم اذ لو ابدا ما عنده في المجلس لربّما ادّعى انّ ذلك يمكن الاهتداء اليه بالتامّل والتدبّر فاجّلهم الامير سبعاً فلمّا انقضت جمعهم وسالهم الامير فقالوا جوابنا فيما مضي هو جوابنا الان قال ابن كمال ايّها الامير انّهم ليقرءون في كتاب الله العظيم انّك تدخل انت وبنوك وجنودك مصر في هذه السنة الّا انهم لا يهتدون لفهمه فقالوا اين هذا فقال قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر انّ الارض يرثها عبادي الصالحون فضحكوا منه وقالوا اين هذا ممّا نحن فيه فقال انّ قوله تعالى ولقد في قوّة لفظ سليم بحساب الجمل فانّ كلّ واحدة من الكلمتين عددها ماية واربعون فتكون اشارة الكلام سليم كتبنا في الزبور من بعد عشرين وتسعماية انّ الارض يرثها لانّ الذكر عدده بدون الة لتعريف كما تقدّم والارض في الاية الكريمة على قول كثير من المفسّرين هى ارض مصر والعباد الصالحون في هذا الوقت هم جنودك اذ لا اصلح منهم في عساكر المسلمين في اقطار الارض لاقامتهم سنّة الجهاد وفتحهم اكثر البلاد النصرانيّة وهم على مذهب اهل السنّة والجماعة وامّا غيرهم من الاجناد امّا من فسدت عقايدهم كاهل العراق واكثر اليمن والهند وامّا من ضعفت عزايمهم من اقامة شعاير الاسلام كالمغرب وامّا من استولت عليهم الدنيا كاهل مصر وبالغ في تقرير هذا المعنى وسرّ السلطان سليم بقوله وسلّم له الفقهاء حسن الاستنباط من لفظ الاشارة الّا انّهم قالوا انّ هذا لا يكفى في اباحة قتال من لم يخلع من طاعة ولاحارب احداً من المسلمين ولو كانت الاشارة القرءانيّة تدلّ انّ هذا سيكون فلا بدّ من اظهار وجه تعتمده في الفتاوي الفقهيّة فقال ابن كمال ايّها الامير انّ هذا سهل ايضاً وذلك بان

تبعث للغوري وتقول له انّي لمّا قدمت الى هذه الاوطان ولم يتيسّر الذي قدمت لاجله عزمنا على التوجّه للحجاز لاجل فريضة الحجّ وليس لنا طريق ولاتزوّد الّا من بلادكم فاردتّ ان تاذن لي في المرور والتزوّد فانّه لا محالة مانعك وصادّك عن المرور على بلاده فاذا صدّك عن البيت جاز لك قتاله وصار محارباً فاستحسن الفقهاء رايه في ذلك لانّ الحيل في مذهبهم سايغةٌ فكتب السلطان سليم للغوريّ بذلك فراجعه الغوريّ بجواب سيّىء وصرّح بمنعه وقال له لاتشرب من نيل مصر جرعة ماء الّا اذا مشيت على ظهور الموتى فقوي اذاً عزم السلطان سليم على غزو مصر وتهيأ لذلك فكان ما كان من استيلائه عليه ودخوله مصر بالسيف فعظمت مرتبة ابن كمال عند سليم وخيّره فيما شاء من الولايات فاختار الفتوى وتولّاها وحسنت مرتبته فيها وتصدّر لنشر العلم والله يتقبّل منه انتهى نصّ الرحلة المذكورة وكان دخول السلطان سليم لمصر عام عشرين وتسعماية كما قاله ابن كمال ولمّا دخل مصر قتل الخليفة العبّاسيّ وبه انقرضت دولة بنى العبّاس وقتل جماعة من العلماء والصلحاء وكثيراً من المجاذيب وارباب الاحوال لانّ الغوريّ خرج بهم يستنصر بهم فلم يُغْنِ ذلك شيأً عن قدر الله عزّ وجلّ قُلْ فمن يملك من الله شيأً ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامّه ومن في الارض جميعاً قلت فلعلّ الذي اخذ دولة السعديّين من الاية يشير لاستنباط ابن كمال فان شرفاء السعديّين نبع امرهم في حدود العشرين وتسعماية كما ياتي والعلم عند الله سبحانه ونظير هذا ما رايته بخطّ الفقيه قاضي الجماعة بالحضرة الاسماعليّة ابي عبد الله محمّد بن عبد الرحمن المجاصي قال استخرج بعض الاصحاب وهو السيد عبد الكريم السجلماسيّ الاربعة عشر ماية التى يقال لاتزيد عليها هذه الامّة الماخوذ من كلام دانيال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من قوله تعالى فقد جاء اشراطها